الأنفاق: وسيلة جديدة لمباغتة جيش الاحتلال في مواقعه الآمنة

07-7-2004

تنوعت الوسائل والأساليب التي استخدمتها المقاومة الفلسطينية في استهداف جيش الاحتلال وكانت هناك العديد من العمليات النوعية التي نفذت بدقة وإحكام أربكت العدو وجنوده وأذهلت المراقبين والمحللين العسكريين

تنوعت الوسائل والأساليب التي استخدمتها المقاومة الفلسطينية في استهداف جيش الاحتلال وكانت هناك العديد من العمليات النوعية التي نفذت بدقة وإحكام أربكت العدو وجنوده وأذهلت المراقبين والمحللين العسكريين.

وجاءت عملية تدمير موقع محفوظة (أورحان) التي نفذتها كتائب القسام من حيث لم يحتسب الإسرائيليون، فجاءهم الموت هذه المرة من تحت الأرض بعد أن تم استهدافهم من فوقها أكثر من مرة ، ومن البحر بالزوارق المتفجرة ومن السماء التي شقت صواريخ القسام عنانها فأذاقتهم الموت الزؤام في اسديروت .

* رحلة عبر الأنفاق:

لم يكن النفق الأول الذي يقوم رجال المقاومة بحفره لتنفيذ عملية عسكرية من خلاله، فقد سبق وأن قامت مجموعة من كتائب القسام قبل انتفاضة الأقصى بالبدء في حفر نفق شرق مخيم البريج ليصل إلى فلسطين المحتلة عام 48م بهدف إدخال الاستشهاديين من عناصر المقاومة وتنفيذ عملياتهم داخل المدن الإسرائيلية، ولكن هذه المحاولة أحبطت عندما تم اكتشاف عملية الحفر من قبل الأمن الوقائي الذي قام باعتقال أفراد المجموعة ومن ضمنهم الشهيد القسامي ياسر طه.

وخلال انتفاضة الأقصى تم تنفيذ عمليات ناجحة ضد مواقع إسرائيلية ثابتة على الشريط الحدودي في رفح، كان أولها عملية موقع بوابة صلاح الدين الذي يطلق عليه جيش الاحتلال (موقع ترميت)، فقد تم حفر النفق حتى وصل قريباً من الموقع ووضعت كمية كبيرة من المتفجرات وشغلت عن بعد وأصيب الموقع إصابة بالغة وقتل العديد من جنود الاحتلال، وكان يمكن لهذه العملية أن توقع خسائر أكبر في صفوف العدو لولا الجدران الخرسانية التي لفت الموقع واصطدم بها حافرو النفق مما اضطرهم لوضع المتفجرات بالقرب من الموقع وليس أسفله مباشرة.

أما العملية الأخرى المشابهة فكانت على نفس الشريط الحدودي، حيث حفر مقاومون من كتائب القسام نفقاً باتجاه برج عسكري يُطلق عليه (موقع حردون) وتجاوز النفق البرج والتف حوله لتوضع العبوة المتفجرة أيضاً في مكان قريب وليس تحت البرج مباشرة فسقط البرج نتيجة قوة الانفجار.

* حفر الأنفاق:

حفر الأنفاق يحتاج إلى خبرة طويلة وإمكانات وسرية في العمل، حيث إن حفر النفق يتم بعدة مراحل، فالمرحلة الأولى هي اختيار المنطقة والأرض الصالحة للحفر بعد أن يتم تحديد الهدف ويتم تحديد تلك الأشياء من قبل خبراء ومهندسين.

وبعد ذلك تبدأ عملية حفر بئر رأسي بعرض متر وبعمق كبير من 8 – 14 متراً وذلك حتى لا يشعر به أحد وكذا لا يتم كشفه من قبل الآليات العسكرية الإسرائيلية، وتبدأ بعد ذلك عملية الحفر الأفقي بعرض 90سم * 90سم وأحياناً يصغر فيكون قطره 40 * 40 سم وتوضع الألواح الخشبية كل ثلاثة أمتار، وعندما تدخل عملية الحفر في عمق أكبر تتم الاستعانة بماكنة تزيل الرمل عن

طريق الامتصاص أو يتم الحفر اليدوي وإخراج الرمل بمحرك سحب أفقي ويتم توصيل سلك كهربائي إلى النفق أثناء الحفر لتزويده بالإضاءة المطلوبة.
وعند الاقتراب من النقطة التي سينتهي إليها النفق وقبل الحفر إلى أعلى قريباً من سطح الأرض، يتم إخراج أنبوب معدني بقطر بوصة واحدة تكون بمثابة علامة لمعرفة المكان الذي وصل إليه النفق.
* أجهزة تنصت أرضية:
جيش الاحتلال وبعد الصدمة الكبيرة التي تلقاها إثر عملية (موقع محفوظة) بدأ يبحث عن وسائل تحميه من خطر الأنفاق ودراسة نتائج العملية، يقول عمير ربابورت في معاريف: يصعب الاستخفاف بخطورة الحادثة التي نجحت فيها حماس في أن تحفر دون أن يكشف عنه خلال شهور طويلة (بحسب أحد التقديرات خلال نصف سنة!) نفقا تحت موقع عسكري مركزي للجيش الإسرائيلي تماماً.
ويتابع حديثه قائلاً: حتى إن كان أكثر الجنود قد خرجوا من الموقع بلا إصابة، فمن البين أنه تجسد هنا ما يمكن أن يحدث في أية لحظة في المواقع العسكرية للجيش الإسرائيلي في أرجاء قطاع غزة. ويشير إلى أنه من ضمن وسائل الدفاع التي يتم الفحص عنها هي استعمال مكثف "لأجهزة تنصت أرضية" بالقرب من المواقع العسكرية، والحديث عن جهاز يحاول الجيش بواسطته الإصغاء إلى أصوات في باطن الأرض، من أجل الكشف عن حفر الأنفاق. ويستطرد قائلا: ولكن مع كل الإجلال لأجهزة التنصت، أصبح واضحا بقدر كاف للقادة أن الطريق الأفضل لمحاربة أنفاق تفجير المواقع العسكرية هي البحث عن المعلومات الاستخبارية الدقيقة عن الحفر الذي يتم في الوقت

المناسب، قبل انفجار حاسم.
* عمليات استخبارية:
النشاطات الإستخبارية هي إحدى الوسائل التي يبحثها قادة المخابرات وجيش الاحتلال لمواجهة عمليات الأنفاق المتفجرة، بالإضافة إلى الوسائل التكنولوجية، وفي هذا الصدد ويقول أليكس فيشمان المراسل العسكري لصحيفة يديعوت أحرونوت: لكن لا أحد يعلم كيفية التصرف والتعامل مع تلك الأنفاق، فمن دون إمكانات تكنولوجية متقدمة وملائمة لا يمكن كشف خندق يمكن حفره في قطر مداه 360 درجة حول موقع عسكري أو مستوطنة. لماذا لم يجتهد الخبراء في هذه الدولة لتطوير أجهزة لكشف الخنادق بعد كل هذه السنوات؟ هذا سؤال جيد، لكن حتى اليوم لا يملك الجيش الإسرائيلي أجهزة تكنولوجية يستطيع بمساعدتها كشف الخنادق.
ويشير فيشمان إلى أن الطريقة الوحيدة للتعامل مع هذه الخنادق هي الخروج من الموقع العسكري وتنفيذ طلعات سرية بواسطة وحدات مشاة، في قطر مداه كيلومتر أو أكثر. بالإضافة إلى عمليات اقتحام تهدف إلى اعتقال المشبوهين ومساعدي المنظمات الذين من خلالهم تستطيع الحصول على معلومات كثيرة، وهذه الأمور تنفذ، لكن بعد فوات الأوان. عمليا، شرعوا في تنفيذها بشكل مكثف خلال الحملة الكبيرة في رفح "قوس قزح".
وتساءل فيشمان لماذا بدأ الجيش تنفيذ هذه العمليات بعد فوات الأوان؟ أيضا هذا سؤال جيد، في جميع الأحوال، فإن هذه العملية ستعطي ثمارها بعد وقت قصير لأنه كلما اقتربنا من تنفيذ خطة فك الارتباط كلما ازدادت العمليات التفجيرية وعظم وقعها.

ويقول إنه في الأسابيع الأخيرة نجح الجيش الإسرائيلي في تنفيذ عمليات من هذا النوع واعتقال عشرات الفلسطينيين في غزة على أمل أن يكشف معلومات حول مخططات المنظمات باقتحام مستوطنات ومواقع عسكرية. ويشير إلى زيارة قائد الجيش الإسرائيلي لموقع نتساريم واستماعه لقادة الموقع حول حجم العمليات الهجومية والدفاعية في قطاع غزة، الوضع في غزة هو حالة حرب مستمرة وقد نفذت في كل أسبوع من شهر حزيران ما يعادل الأربعين عملية تفجيرية.